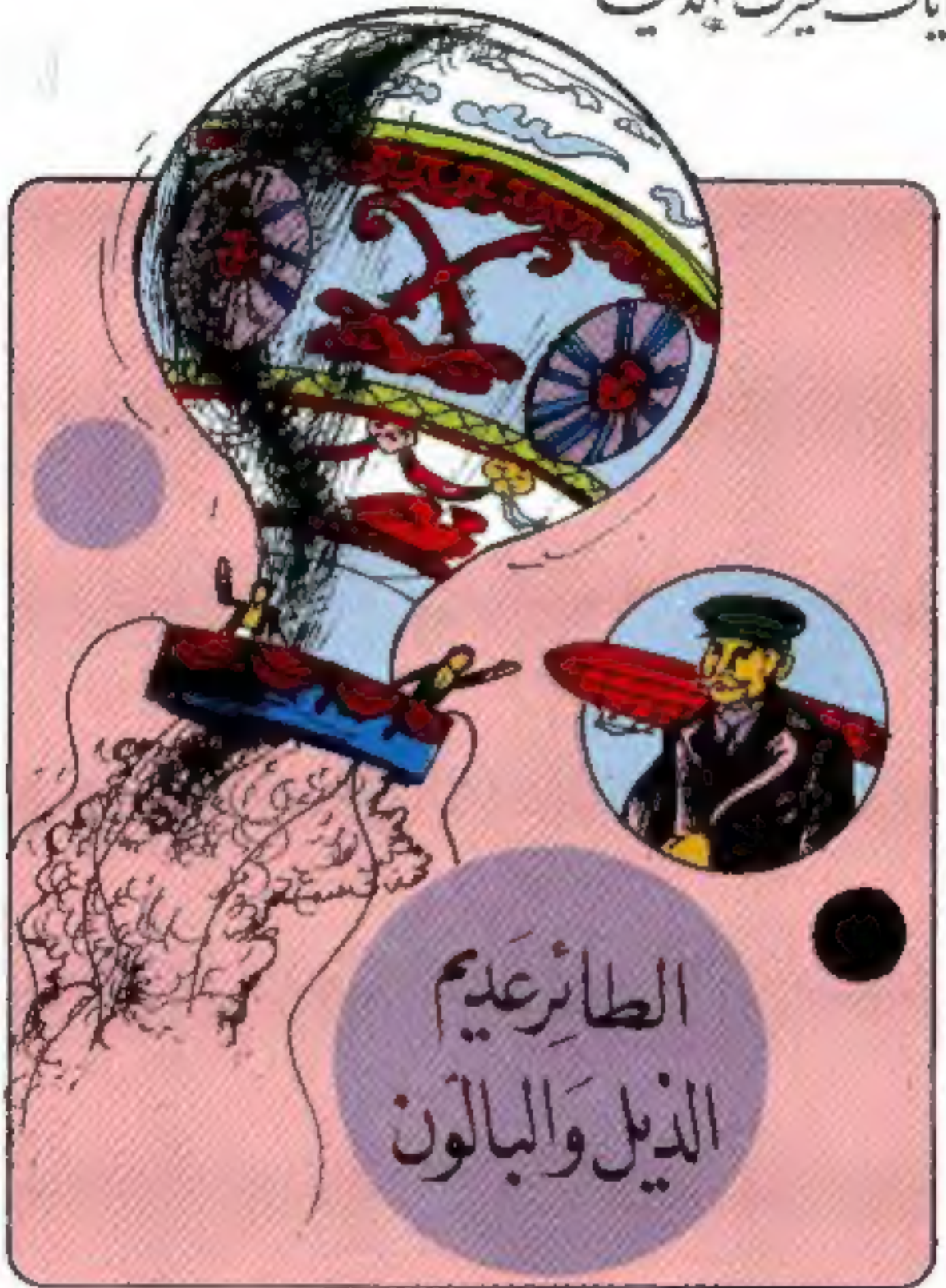


حكايات غيّرت الدنيا



الطائر عديم
الذيل والبالون

محسن بن محسن

تبدأ حكايتنا من آلاف السنين ، بل يُمكن أن نقول إنها
بدأت منذ خلق الله — سبحانه وتعالى — الإنسان وأسكنه
الأرض ليُعمرها .

نظر الإنسان إلى الطيور حوله بمُختلف أشكالها وألوانها ،
فغبطها على أنه يمكنها التحليق في الجو في حُرِّية وسُهولة
حسبما تشاء ، فهي تستطيع أن تُحرك أجنحتها متى زودها
بها الله ، فترتفع عالياً في الهواء .

وكم تمنى الإنسان أن يطير مثلما تطير ، ويُخلق في السماء
كما تُخلق .

وعاش الإنسان ذلك الحلم الجميل ، إلى أن ارتفعت
البشريَّة ، وبدأ إنتاج القصص والحكايات .

فصاغ القصاصون قصصاً خياليَّةً عن الباطن السحري ،
الذي يحلُّس عليه بطل القصة ، ويُردُّ بعض الكلمات

السَّحَرِيَّةُ ، فَيَرْتَفِعُ بِهِ فِي الْجَوِّ ، وَيَسْطَلِقُ بِهِ إِلَى أَى مَكَانٍ يُرِيدُ .

وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَحْلَامُ فِي الْقِصَصِ الْخُرَافِيَّةِ ، تُعَبِّرُ عَنْ رَغْبَةِ الْإِنْسَانِ الْكَامِنَةِ ، فِي أَنْ يَطِيرَ مِثْلَ الطَّيُورِ ، وَيَتَقَلَّلَ مِثْلَهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ، مَلَّ فِيهِ أُسَاطِيرُ التَّحْلِيلِ فِي الْجَوِّ ، فَلَمْ يَعُدْ عَقْلُهُ يُسَمِّعُ حِكَايَاتِ الْبَسَاطِ السَّحَرِيَّةِ الْخُرَافِيَّةِ ، وَلَا الطَّيُورَ الَّتِي تَحْمِلُ الْبَسَاطَ السَّحَرِيَّ وَتَطِيرُ بِهِ وَفْقَ رَغْبَةِ صَاحِبِهَا ، الَّذِي ذَرَّبَهَا عَلَى ذَلِكَ .

وَبَدَأَ الْإِنْسَانُ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ : وَلِمَاذَا لَا أَطِيرُ أَنَا نَفْسِي؟ إِنَّ الْأَمْرَ هُنَّ ، فَكَمَا خَلَقَ اللَّهُ لِلطَّائِرِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا ، سَأَصْنَعُ أَنَا لِنَفْسِي جَنَاحَيْنِ كَبِيرَيْنِ أَتَبْتَهِمَا فِي ذِرَاعِي ، وَأُحَرِّكُهُمَا كَمَا يُحَرِّكُ الطَّائِرُ جَنَاحَيْهِ ، فَإِذَا بِي أَرْتَفِعُ فِي الْجَوِّ ، وَأَخْلُقُ فِي السَّمَاءِ .

وَتَرَدَّدَ الْإِنْسَانُ طَوِيلًا فِي تَفْقِيدِ فِكْرَتِهِ ، إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِي بِلَادِ الْيُونَانِ رَجُلٌ أَقْدَمَ عَلَى إِتْقَانِ هَذِهِ الْأُمِّيَّةِ ، فَصَنَعَ لِنَفْسِهِ

(٣)

(الطائر عديم الذيل)

جَنَاحَيْنِ ، أَلَصَقَهُمَا فِي ذِرَاعَيْهِ بِالشَّمْعِ ، وَأَعْلَنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ
فِي الْهَوَاءِ ، فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّالِي .

وَرَأَى الرَّجُلُ الْيُونَانِي يُخْرِى ثَجَارِيهَ عَلَى الطَّيْرَانِ بِالْقَفْزِ مِنْ
رَبْوَةٍ إِلَى رَبْوَةٍ ، وَنَحْرِيكَ ذِرَاعِيهِ كَمَا يُحَرِّكُ الطَّائِرُ جَنَاحَيْهِ ،
وَنَجَحَ فِي ذَلِكَ نَجَاحًا كَبِيرًا ، مَلَأَ قَلْبَهُ بِالسَّعَادَةِ وَالْأَمَلِ .
وَسَهَرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يُحَرِّكُ جَنَاحَيْهِ كَمَا يَفْعَلُ الطَّائِرُ ،
وَيَتَدَرَّبُ اسْتِعْدَادًا لِمُسْتَعْرَاضِ الصَّبَاحِ .

وَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ، وَقَفَ عِنْدَ الرَّبْوَةِ حُلُقَى كَثِيرٍ ، يَنْتَظِرُونَ
لِيُشَاهِدُوا الْإِنْسَانَ الَّذِي سَيَطِيرُ ، وَيُحَقِّقَ أَحْلَامَ النَّاسِ فِي
الطَّيْرَانِ .

وَجَاءَ الرَّجُلُ ، وَصَعِدَ إِلَى الرَّبْوَةِ الْعَالِيَةِ ، وَقَفَزَ فِي الْهَوَاءِ ،
وَرَأَى يُحَرِّكُ ذِرَاعَيْهِ يَمِينًا وَيسَارًا كَمَا يَفْعَلُ الطَّائِرُ ، فَارْتَفَعَ فِي
الْهَوَاءِ أَمَامَ أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَحُلُقَى فِي الْحَوِّ وَهُوَ سَعِيدٌ بِمَا حَقَّقَهُ
مِنَ النَّجَاحِ ، وَلَكِنَّ الشَّمْسَ سَطَعَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ،
وَأَشَاعَتِ الدَّفْءَ مِنْ حَوْلِهَا ، وَاتَّزَتْ حَرَارَتُهَا فِي الشَّمْعِ
فَذَابَ ، وَسَقَطَ الرَّجُلُ الطَّائِرُ يَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ ، فَذُقَّ عُقُوبَهُ

ومات في الحال .

وهكذا قضى على أحلام الإنسان في الطيران ، وماتت وهي
في مهدها ما تزال ، ولم يجرؤ أحد على إعادة المحاولة من
جديد .

ومضت السنين ، وجاءت حكايتنا عن الطائر عديم
الذيل ، لتحقيق من جديد حلم الإنسان في الطيران .
ففى بلاد الأندلس ، ظهر المخترع الأندلسي العربي
« عباس بن فرناس » ، وكان قد قرأ الكثير عن محاولات غيره
في الطيران ، ولما كانت له ديانة بعلم الفلك وحركة النجوم ،
فقد استهواه أن يكون أحد الذين يحوون في الهواء طائرين ،
ففكر في أن يصنع لنفسه جناحين من الريش ، يطير بهما كما
يطير الطيور .

وكان « عباس بن فرناس » من ذلك النوع من الناس الذين
إذا فكروا في شيء سارعوا إلى إنفاذه ، فصنع لنفسه جناحين
كثيرين من الريش ، وثبتهما في ذراعيه جيّدا ، وقام بمحاولة
المشهور في الطيران ، واعتبر بحق الرائد الأول لفكرة



الطَّيْرَانِ . وَنَجَحَ بِالفِعْلِ فِي الطَّيْرَانِ إِلَى مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ ، بَعْدَ أَنْ قَفَزَ مِنْ عَلَى أَحَدِ الْأَمَكِينِ الْعَالِيَةِ .

وَكَانَ قَدْ نَظَرَ إِلَى الطَّائِرِ ، وَاتَّخَذَهُ نُمُودَجًا لَهُ ، فَكَأَنَّ جِسْمَهُ بِالرِّيشِ مِثْلَهُ ، وَصَنَعَ لَهُ جَنَاحَيْنِ ، وَلَكِنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَصْنَعَ لِنَفْسِهِ ذَيْلًا ، فَسَقَطَ وَتَهَشَّمَ وَمَاتَ فِي الْحَالِ .

وَبِهَذَا عَادَ حُلُمُ الْإِنْسَانِ فِي الطَّيْرَانِ ، كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ مَجْرَدَ أُمِّيَّةٍ تُدَاعِبُ خَيَالَ النَّاسِ .

وَمَضَى السَّوْنُ وَالْأَيَّامُ ، وَفِي سَنَةِ ١٥٠٠ مِيلَادِيَّةً فَكَّرَ الْمُخْتَرِعُ الرَّسَّامُ النَّحَّاتُ الْعَظِيمُ « لِيُونَارْدُو دَاڤِنْسِي » ، أَنْ يُجَرِّبَ حِفْظَهُ فِي الطَّيْرَانِ . وَ « لِيُونَارْدُو » هُوَ صَاحِبُ لَوْحَةِ « الْجِيُوكُونْدَا » الشَّهِيرَةِ ، الَّتِي صَوَّرَ فِيهَا الثَّيْلَةَ الْإِيطَالِيَّةَ « مُونَالِيِزَا » ، وَالَّتِي تَعْتَبَرُ بِحَقِّ أَرْوَعِ صُورَةٍ رَسَمَهَا قَدَانُ عَلَى الْإِطْلَاقِ حَتَّى الْآنَ ، وَتُعْرَضُ اللَّوْحَةُ فِي مُنَحِيفِ اللُّوفرِ بِبَارِيسِ .

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ بِحَقِّ « لِيُونَارْدُو دَاڤِنْسِي » هُوَ رَائِدُ الطَّيْرَانِ الْحَدِيثِ ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ إِنْسَانٍ يُوَاجِهُ مُشْكِلةَ الطَّيْرَانِ

الحقيقى ، إذ صَنَعَ طائراً من الخشب الخفيف ، على هيئة
الحُفَّاش الذى نعرفه ونراه فى الأماكن المظلمة ، وصَنَعَ له
جناحين وذيلًا ، وجَسماً على هيئة القارب كجسم الطائر .
ولم يكن طائرُه إلا نوعاً من الطَّائِرَات التى تطير بغير مُحَرِّك ،
والتي تستطيع الطيران بفعل التيارات الهوائية .

كما قدَّم لنا من تصميماته كذلك ، تصميمًا لطائرة
الهليكوبتر التى نراها اليوم ، وأسماعها « البريمة الهوائية » ،
ووضع مقاييسها ، وطريقة تشغيلها ، وكتب عليها « إنه يمكن
لأربعة رجال أن يرتفعوا بها فى الهواء ، إذا أُدير فيها مقبض يُلَفُّ
أسطوانة عمودية تتصل بِمُحَرِّك ، وبذلك ترتفع المركبة فى
الهواء . بل إنه فكَّر كذلك فى المظلة الواقية ، وهى ما يُعرف
اليوم باسم « البراشوت » قرستمها كما هى الآن ، ووضع عليها
مقاييسها وأبعادها ، ونوع القماش المتين الذى تُصنَّع منه ،
وكتب عليها :

« إنه يمكننا أن نَقِمَّرَ من أى ارتفاع متعلقين بها ، دون أن
يُصِيبَنَا ضرر » . ونتيجة لأفكار « ليوناردو دافنشى » عن

المُظَلَّةُ الواقية والرَّيْشَةُ الهوائية ، فَكَّرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَلَأِ
بِالْوَقْدِ بِالْهَوَاءِ ، وَتَعْلِيْقِ سَلَّةٍ كَبِيرَةٍ فِيهِ يَرْكَبُ فِيهَا بَعْضُ النَّاسِ ،
وَيَطِيرُ بِهِمُ الْبَالُونُ إِلَى أَىِّ مَكَانٍ ، وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ نَفْسُهَا كَانَتْ
قَدْ طَرَأَتْ لِأَحَدِ سَكَّانِ الصِّينِ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدٍ ، عِنْدَمَا مَلَأَ
كَيْسًا كَبِيرًا مِنَ الْوَرَقِ بِالْهَوَاءِ ، وَتَرَكَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَخَرَجَ مِنْهُ
الْهَوَاءُ فَطَارَ فِي الْجَوِّ ، ثُمَّ رَاحَ الْهَوَاءُ يَنْفُذُ مِنْهُ شَيْئًا فَبَقِيَ ،
فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ فِي بَطءٍ شَدِيدٍ .

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَكَّرَ الصِّينِيُّونَ فِي أَنْ يَصْنَعُوا بِالْوَقْدِ
كَبِيرًا وَيَمْلَأُوهُ بِالْهَوَاءِ ، فَيَطِيرُ بِهِمُ فِي الْجَوِّ ، حَتَّى إِذَا أَرَادُوا أَنْ
يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ ثَانِيَةً ، أَفْرِغُوهُ مِنَ الْهَوَاءِ تَدْرِيجًا ، فَيَنْزِلُ بِهِمُ
إِلَى الْأَرْضِ بِسَلَامٍ .

وَلَكِنْ نَظَرًا لِبُعْدِ بِلَادِ الصِّينِ عَنِ الْعَالَمِ الْأَوْرُوقِيِّ ، وَانْقِطَاعِ
أَخْبَارِهَا عَنْهُ ، وَجُرْصِ الصِّينِيِّينَ عَلَى تَكْثُرِ أَمْرِ مُخْتَرَعَاتِهِمْ ،
لَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ كَيْفَ تَوْصُلُوا إِلَى اكْتِشَافِ صَنْعِ الْخَرِيرِ إِلَّا بَعْدَ
رَدِّجٍ طَوِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ ، كَمَا لَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ حَتَّى الْآنَ كَيْفَ
اهْتَدَوْا إِلَى صَنْعِ كَلِيشِيهِ الطَّبَاعَةِ ، وَلَا إِلَى طَرِيقَةِ الْعِلَاجِ

بالنوخز بالإبر الصينية .

وقيل إنَّ بالونات تحميل الناس طارت من بكين في خلال القرن السابع عشر. ولكن أحداً في أوربا لم يعلم عنها شيئاً بالمرّة .

إلى أن كانت سنة ١٧٦٦ ميلادية ، حين توصّل الكيميائي الإنجليزي « كافانديش » إلى اكتشاف غاز أخف من الهواء ، هو غاز الهيدروجين ، فملاً به كيساً من المطاط علق فيه قفصاً ، فطار الكيس وارتفع في الهواء حاملاً القفص معه ، وكانت تلك هي البداية الحقيقية لتحقيق أحلام الإنسان في الطيران .

وعلى أساس هذه النظرية ، بدأ الشاب الفرنسي « جوزيف ميشيل » وابن عمه « جاك » ، وهما من أسرة : « مونتجولفير » ، وأبواهما شقيقان يملكان مصنعاً للورق . بدأ الاثنان في صنع بالون كبير من الكتان ، ملئوه بغاز الهيدروجين ، وعلّقوا فيه سلّة كبيرة ، ركب فيها أربعة

أشخاص نطوَّعوا لمحاظرة حياتهم وركوب ذلك الموت
المحيب .

وبحث الثَّخيرة ، فصار السَّائون في الهواء سحابة ورشافة ،
يقفرون من مكاب إلى مكان ، إلى أن هبط على الأرض في
سهولة وأمان ، وكان ذلك في سنة ١٧٨٣ ميلادية ، ورغم
ذلك الشَّاح السَّاجق ، فإنَّ الإنسان لم يُحقِّق خُلقه في
الطَّيرين ، لأنَّ الهواء كان يُوَحِّه السَّائون إلى أيَّ اتِّجاه يُحدِّده ،
وكلُّ ما كان يُمكن الإنسان هو تزيُّع السَّائون من الهواء
تدريجاً ، أو الارتصاع به لتحصيف حمولته من بعض أكياس
زمن التي كان يُضخُّ بها لتُفقيه على الأرض

ولما بعض النَّاس إلى ماء هذه البوابات بالهواء السَّاح ،
وعند أحف من الهواء البارد ، ولأنه يتمدُّ بالحرارة ، فكُنما
بَرْد الهواء هبط السَّائون تبعاً لذلك إلى الأرض ، ولكنهم رجفوا
إلى استعمال الهيدروجين من حديد ، فقد ثبت لهم أنَّه أحف
اعازات ، إذ يرنُّ حُرّاً من ستَّة عشر حُرّاً من وزن الهواء ،
وبذلك فهو أقدر على رفع السَّائون والسُّلَّة وما يكون فيها من

الناس ، كما يُمكن الإنسان أن يتقى مُحقق في الهواء في
السؤال المحتلىء بالهيدروجين ، أصبح مدد يُربط

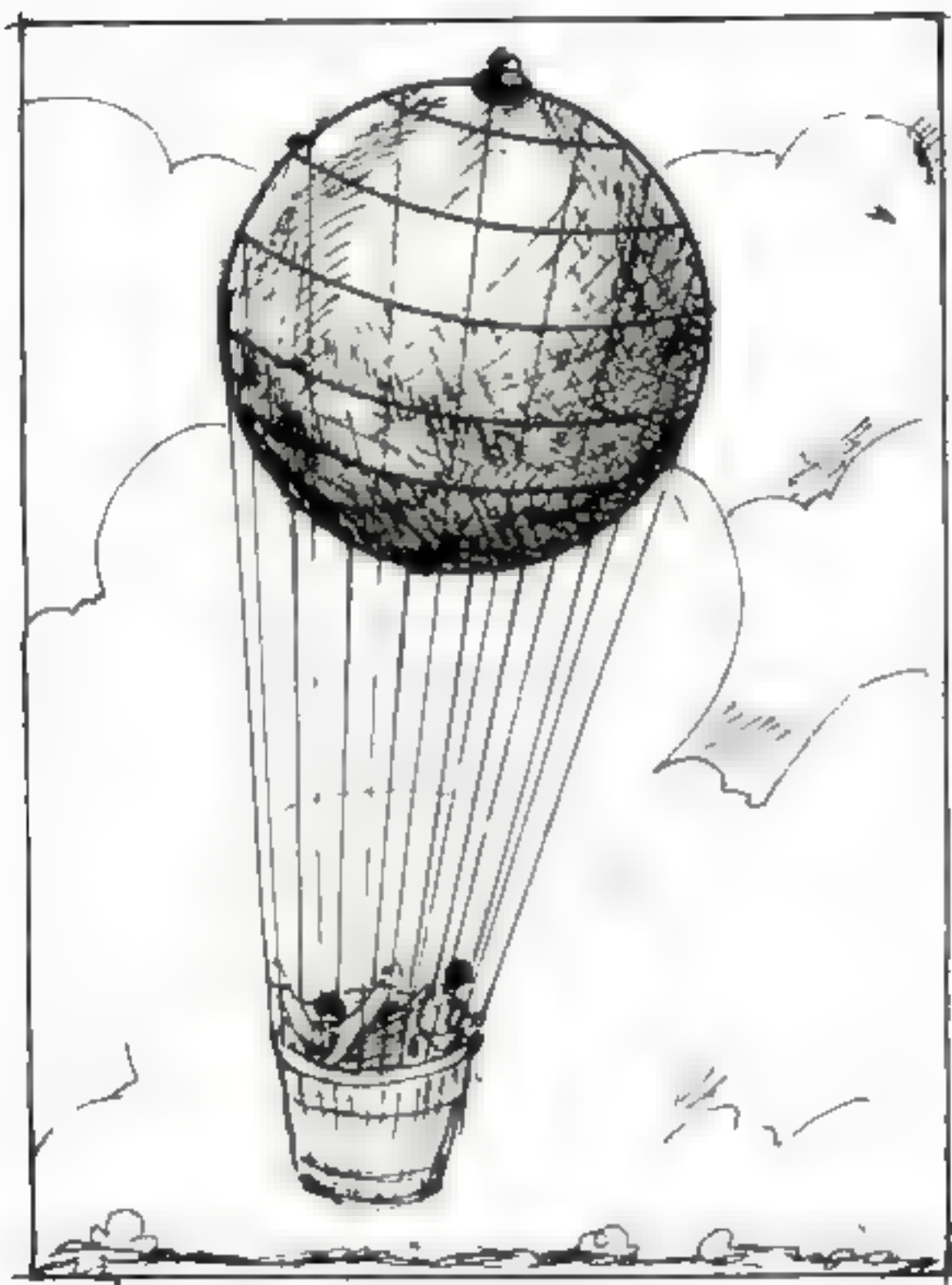
واشْتَبُ في اربعاء السؤال في الهواء بسيط ، فعار
الهيدروجين — كما قلت — أحف من هواء أدي يُحفظ
باللون ، ويدبث فإن الهواء — وهو نُقل من اعمار في داخل
السؤال — يتجمع أسفل البالون ويدفعه إلى أعلى ، كما أن
الهيدروجين أحف من الهواء ، وبذلك يطفو السؤال المحتلىء
به ، مثلما يطفو قطعة خشب أو القنب على سطح الماء ،
لأن الماء أثقل منها . وهذا ما نُعرِّفه بكثافة النوعية ،
فقول إن كثافة الهيدروجين أقل من كثافة هواء ، وهكذا في
سائر الأجسام .

واسمّر إنسان يلعب سألوه ، تدهت به ريح إلى حيث
نشأ ، ويهبط بأن يجعل اعمار يسرّت من سألوه تدريجاً ،
ولكنه لم يستطع أن يرجع إلى نفس المكاب الذي يطلق
من البالون ، لأنه لم يكن يستطيع التحكم في توجه السؤال
بعد صعوده في الهواء

واستطاع الكونت « ريلن » في ألمانيا ، أن يثبت رفاة
 من الألمونيوم والشحاس صنع منها بالوياً كبيراً اسمه « بمطاد
 ريس » كانت له مراوح تُديرها آلة ، وهي دليله دقة توجّهه في
 أي اتجاه يريدّه الإنسان ، وكان جسمه مستطيلاً كجسم
 نحوت ، وليس بالثوب كزوبيا بحبل سلة ، كالبالونات السابقة
 عليه ، وكان يُملأ بالماء ، فإذا أريد له الارتجاع أفرغ قدر من
 الماء ، وكان الماء عادةً يُحلبط بالكحول حتى لا يتجمّد إذا
 ارتفع إلى طبقات الخو العليا قارسة الشودة .

وقد استعمل « بمطاد ريلن » في الحروب ، واستطاعت
 ألمانيا أن تُحارب حاراتها وقتاً طويلاً ، دون أن يتوصل أحد إلى
 الكشف عن سرّ صناعته . إلى أن حدث أن تجمّد الماء في
 أحد الماصيد ، واضطرّ قائده أن يهبط به في فرنسا ، وهناك
 تمكن الفرنسيون من معرفة سرّ صناعته .

ولما كان غاز الهيدروجين يمتدّ بحرارة الشمس ، فقد
 كان خطر انفجار المِطاد كبيراً ، لاسيما وأنّ غاز الهيدروجين
 سريع الاشتعال ، ولذلك عمل العلماء على إنتاج غاز اسمه



« اهللوم » ، وهو أحف اعارت على الإطلاق ، وغير فاس
 بلاشتعل ، وحدث مرغان ما شاع استعماله في العاصيد ،
 وكثر بصره علاء ثم اعار وأعيوب العاصيد بكبيره وانحار
 كثير منها ، بدأ الإنسان يحس بحاجته إلى آية جديدة
 للتصيران ، فلم تُحقق التالونات للإسباب خلمه التحميل الذي
 حسم حتم به ، ولم تحصل لإرادته ، فلم تكن له القدرة على
 توجيهه إلى حيث يشاء ، فصلا عن أن النوع الأخير منها كان
 باهظ التكليف ، كبير المسحطر ، سريع العصب في نفس
 الوقت .

والأول محاولة للتصيران مركبة تعمل بآية تديرها ، هي
 صائرة المذكور « لاسحلي » ، فقد صنعها من الحشيش على
 شكل حذاة ، ووضع فيها آلة بحرية ، وقد نشت صلاحيتها
 للتصيران بعد وفاة المذكور « لاسحلي » ، قبل أن يتم أمحائه
 عليها .

ومرت على ذلك سنوات ، إلى أن استطاع الشقيقتان
 « ويسر وأورفيل راب » ، وهما ابنا الأستاذ « رابت » باطر

يُحْدِى الْمَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةَ ، وَكَأَنَّا يَعْمَلُونَ فِي إِصْلَاحِ
مَدْرَاحَاتٍ . اسْتَطَاعَا بِتَعَاوُنِهِمَا فِي الْعَمَلِ أَنْ يَصْنَعَا مَوْجِدًا
مَصْغَرًا لِلْمَصْدَرِ ، رَفَعُوا وَحْدَهُ عَنِ الْأَرْضِ وَفِيهِ ثِقَلٌ صَغِيرٌ لِمَثَرَةٍ
دُمْتُ بِسَعَا وَحْمِيَيْنِ ثَابِتَةٍ ، أَيْ حَوَالِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَلَمْ يَقْنَعِ الْأَحْوَالُ رَأَيْتُ بِهِدَا الشَّجَاحِ ، فَشَرَعَا مِنْ
قَوَائِمِهِمَا فِي صَنْعِ مَوْجِدٍ كَبِيرٍ لِلطَّائِرَةِ الَّتِي سَيَرَكِبُهَا
بِإِعْمَالٍ ، وَحَاوَلَا أَنْ يَتَلَاَمِيَا فِي هَذِهِ الطَّائِرَةِ بَعِيْبَتِ الَّتِي
لَا حَظَّهَا فِي الْمَوْجِدِ الْحَشِيِّ الصَّغِيرِ مِنْ تَأَثُّرِهَا بِالرِّيَّاحِ ،
وَسَدْتُ صَنْعًا لِلطَّائِرَةِ صَوَاطِئَ آيَةٍ ، حَتَّى إِذَا مَا تَعَرَّضَتْ لِتَبَارِ
هَوَاءٍ قَوِيٍّ اسْتَصَاعَتْ أَنْ تُوَارِيَ نَفْسَهَا ، بَلَّانْ جَعَلَا لَهَا جُبِيْحَاتٍ
مَتَحَرِّكَةً تَتَحَمَّصُ وَتَرْتَفِعُ — كَمَا فِي حُبِيْحَاتِ الطَّائِرَاتِ
الْحَقَائِقَةِ — تَعَالَى بِحَرَكَةِ رِّيَّاحٍ . وَالْحُبِيْحُ حُرَّةٌ مِنْ الْحَاجِ
لِلرَّئِيْسِيِّ ، وَيُوحَدُ هَرِيْبًا مِنْ نَهَائِيَتِهِ ، وَيَتَّصِلُ بِهِ بِمُقَصِّلَاتٍ ،
فَعِنْدَمَا يَتَحَمَّصُ حُبِيْحٌ أَخَذَ الْحَاجِيْنَ ، يَرْدَادُ دَفْعُ الْهَوَاءِ أَسْفَلَ
دُبُّكَ الْحَاجِ هَبْرَتُهُ ، وَيَتَحَمَّصُ الْحَاجُ الْآخَرُ فَتَجِبِلُ الْمَصَائِرُ ،
وَعِنْدَمَا يَرْتَفِعُ حُبِيْحٌ أَخَذَ الْحَاجِيْنَ ، يَقْلُ دَفْعُ الْهَوَاءِ أَسْفَلَ

ذَلِكَ الْجَنَاحُ فَيَنْخَفِضُ ، وَيرْتَفِعُ الْجَنَاحُ الْآخَرُ مُعِيداً لِلطَّائِرَةِ
اِثْرَانَهَا ، تَمَاماً كَمَا يَفْعَلُ الطَّائِرُ بِجَنَاحَيْهِ .

وَالْمُضْحِكُ فِي أَمْرِ هَذِهِ الطَّائِرَةِ إِذَا مَا قُورِنَتْ بِطَائِرَاتِ
الْيَوْمَ ، أَنَّ أَحَدَ الْأَخَوَيْنِ كَانَ يُنْسِكُ بِخَيْلٍ رُيْطُ أَحَدِ طَرَفَيْ
الطَّائِرَةِ ، يَنْسَا بِطَيْرُ بِهَا أَحْوَهُ ، حَتَّى يَضْمَنَا عَدَمَ تَعْرِضِيهِمَا
لِخَطَرِ عَدَمِ التَّحَكُّمِ فِي قِيَادَتِهَا ، وَفَقْدِ اِثْرَانِهَا نَتِيجَةً لِعَبَثِ
الْهَوَاءِ بِهَا .

كَمَا كَانَ رَجُلَانِ آخَرَانِ يَقِفُ كُلُّ مَنَّهُمَا إِلَى أَحَدِ جَانِبَيْ
الطَّائِرَةِ عِنْدَ صُعُودِهَا ، وَيَجْرَانِهَا عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَقْوَى
حَرَكَتُهَا وَتَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ .

وَنَجَحَ « الْأَخَوَانِ رَايَتِ » ، فِي الطَّيْرَانِ بِتِلْكَ الطَّائِرَةِ بِخَطِّ
مُسْتَقِيمٍ ، لِمُدَّةِ ثَلَاثِ دَقَائِقَ ، وَلَكِنَّهُمَا قَشِيلاً فِي تَوَجُّهِهِمَا إِلَى
الْيَمِينِ أَوْ إِلَى الشَّمَالِ ، فَرَاخَا يُعِيدَانِ تَجَارِبَهُمَا مَرَّةً أُخْرَى .
وَفِي سَنَةِ ١٩٠٨ م ، بَعْدَ عِدَّةِ تَجَارِبَ أُخْرَى ، أَغْلَا
لِلنَّاسِ أَنَّهُمَا صَنَعَا طَائِرَةً تَقْطَعُ فِي طَيْرَانِهَا أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ مِيلًا .
وَدَهِشَ النَّاسُ لِهَذَا الْخَبَرِ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ فِي بَادِيءِ الْأَمْرِ .

إلى أن قام « الأخوان رايت » ، بأول تجربة عامة على مشهد
من الناس ، فارتفعا بطائرتيهما ثمانية أقدام ، ثم نَزَلا على
الأرض بسهولة .

واهتمت الحكومة الأمريكية بهذا الأمر ، وبعثت في طلب
الأخوين للتفاوض معهما في إمكان شراء سر صناعة هذه
الطائرات ، الذي احتفظا به لأنفسيهما طوال فترة تجاربهما .
وقام « الأخوان رايت » بتجربة جديدة أمام مندوب
الحكومة الأمريكية ، فربط في طائرتيهما سيارة صغيرة بها رجل
واحد ، وارتفعا بها أمام أعين الناس ومندوب الحكومة
المُنْدهِشِينَ ، وبقيا في الجو ساعة كاملة يدوران ثم يعودان
أمام الجموع المُحشّدة ، ثم هبطا إلى الأرض بسلام .

وانتشر استعمال الطائرات في الولايات المتحدة الأمريكية ،
ثم انتقل منها إلى غيرها من البلاد ، وشارك الطيران في
الحرب العالمية الأولى ، واستعمل في تصوير مواقع العدو ،
وفي إلقاء القنابل عليه ، ، كان يروخ ضجيتها آلاف من
الناس .

وبعد انتهاء الحرب العالمية بدأ التفكير في صناعة الطائرات لنقل الناس والبضائع ، وفي سنة ١٩١٩ م طارت الطائرة بالبالون من إنجلترا إلى أستراليا ، وفي سنة ١٩٢٦ م وصلت إلى القطب الشمالي .

وفي واقع الأمر ، غيرت الطائرات الدنيا ، فهي تقوم الآن برحلات قصيرة سهلة ، خالية من الخطر تماما ، بل وأكثر راحة من غيرها من وسائل النقل .

واليوم وبعد مرور نحو سبعين عاماً منذ غادر « الأخوان رايت » الأرض بطائرتيهما في ولاية « كارولينا » ، ترى الملاحاة الجوية قطعاً شوطاً طويلاً في طريق التقدم ، وأصبح للطيران فائدة عظيمة ، فالسفر من أدنى البلاد إلى أقصاها لا يستغرق إلا طرفة عين إذا قيس بما كان عليه الحال في الماضي .

وإذا كانت أسعار السفر بالطائرات اليوم لا تزال باهظة إلى حد ما ، فقد انخفضت عما كانت عليه ، وأصبح الطيران كذلك متعة كبيرة ، فعبور البحار والمحيطات في طائرة نفائذ تفوق سرعتها سرعة الصوت ، صار سهلاً ميسوراً ، بل

ورحياً إذا راغبنا الخدمات التي تقدمها شركات الطيران
لركابها، وأنه أمكن لهذه الطائرات أن تحمل الواحدة
خمسمائة راكب، وتطير بهم في الأجواء العليا بأقصى
سرعة.

والآن وأنتم تجلسون في الطائرة، تتمتعون بمقعد مريح،
وهواء مكيف، وطعام ساخن، وتحققون بسرعة الوصول إلى
البلد الذي تقصده، عليكم أن تتذكروا كفاح آباءكم من بني
الإنسان، في سبيل تحقيق حلمهم في الطيران، وما أنتم اليوم
تجنون بمار جناحين من شمع وريش، حاول أخذهم في زمن
قديم أن يطير بهما في الهواء، ودفع حياته ثمناً لذلك، ثمناً
لأن تتغير الدنيا.